06/02/2026

كلمة صاحب القداسة البطريرك المسكوني السيد برثلماوس، أثناء ترؤسه ا



كلمة صاحب القداسة البطريرك المسكوني برثلماوس،
أثناء ترؤسه الصلاة في الكاتدرائية المقدسة وصوفيا الحكمة الإلهية
(ساليونيك، 1 شباط/فبراير 2026
أي صاحب السيادة متروبوليت تساليونيكي، الأخ الحبيب جدًا وشريكنا في
الخدمة الليتورجية، السيد فيليثيوس،
أيها الإخوة القديسون من سائر الأساقفة، وجميع المدرجين في الذكر المقدّس،
أصحاب المعالي،
أصحاب السعادة من أعيان هذا البلد،
الأركونات المومّرون الحائزون الأوفّيكيات،
أي شعب الله المبارك!
عظيمٌ هو رحمة الرب غير المدرك وكلّي القدرة، الذي أنعم علينا تواضعنا أن نكون من
مدينة الملوك إلى المدينة الشريكة في المُلك، تساليونيكي، في إعلانٍ وخدمةٍ
سرّيةٍ لسرّ حكمة الله في هذا الهيكل المقدّس هنا.
لقد بنت حكمة الله حقًا بيتها هنا أيضًا، كما في مدينة مقرّنا، الكنيسة العظمى
المقدّسة للمسيح، وكذلك في مدن كثيرة أخرى من الإرث البيزنطي لأمّ الرؤوم:
في أينوس، وفي فيزيا، وفي طرابزون، وفي نيقية، حيث كنّا منذ شهرين فقط
نحتفل مع أسقف روما يوم الذكرى الـ1700 لانعقاد المجمع المسكوني الأول.
إن الكنيسة العظمى ليست مجرّد أثرٍ معماري أو تاريخي، بل هي شهادة حيّة لعظمة
الرب وقدرته الكلّية. فالكلمة الإلهي الأزلي، المساوي للآب في الجوهر، دخل

تاريخ العالم وأنار القسطنطينية وتسالونيكي وكل بلاد بيزنطة، ال يشيّدها كل حجارة فحسب، بل يبني شعوباً وحضائر وتاريخ خالص.

في هذا الموضع المقدّس، وعلى مدى قرون، يتردّد صدى الصلاة والترتيل في كنيستان الأرثوذكسية وعباءة الإله الثالوثي، وبهاء تتجلّى بوضوح رسوليّة كنيستان وشهادتها واستقامتها الجامعة. كنيسة ال تعيش من الماضي فحسب، بل تستلهمه وتشهد لنور المسيح، النور الذي يكشف الماضي، ويُنير الحاضر والمستقبل، ويبدّد الظلمات والدهاليز.

هذا هو نور حكمة الله.

اليوم قد فُتِح ميدان التريودي‌وّن، وهي أيضاً فترة من فترات حكمة الله، تدعو إلى التوبة، والتواضع، والسهر الروحي. ويُعرض أمامنا إنسانان من بني البشر: العشّار والفريسي، يدخلان إلى الهيكل ويصلّيان (لوقا 18: 10–14). أحدهما يتبرّر، والآخر يُدان.

كان للفريسي أعمالٌ وصايا وفضائل خارجية، لكنه كان يفتقر إلى التواضع. لقد صلّى، كما يقول الإنجيل، ولكن «لنفسه». لم يكن يخاطب الله، بل أنانيّته. أما العشّار، فعلى العكس، فلم يكن لديه ما يقوله. كان صامتاً في انسحاق القلب، ولم يجرؤ أن يرفع عينيه إلى السماء، بل كان يردّد فقط: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ». إن تواضعه فتح له السماء، أما الكبرياء فأدان الفريسي.

هذا هو إذاً الدرس الأول للتريودي‌وّن المقدّس: ليس الصوم وحده، والا الجهادات وحدها، بل التواضع. فالصوم بلا توبة يصير فريسية، والنسك بلا انسحاق يتحوّل إلى كبرياء. أمّا التواضع فهو نعمة، وهو حكمة، وهو قوة، وهو سلام.

إن التريودي‌وّن ليس زمن حزن، بل زمن عودة. ويدعونا أن ننزل إلى عمق قلوبنا، وأن نرى ذواتنا «وجهاً لوجه»، ال من أجل اليأس، بل من أجل الغفران، برحمة الله الكلّي القدرة والمحبّ للبشر.

يدعونا المسيح أن نكون «نور العالم» و«ملح الأرض»، وأن نحوّل إيماننا إلى شهادة حياة. فالشخصيات العظيمة في الكنيسة ال تختبئ في صمت التاريخ، بل تلمع عبر العصور كمصابيح موضوعة على المنارة.

وفي هذه الكوكبة من الرعاة العظام ومنيري الأرثوذكسية، يُعدّ أيضاً أحد أسلافنا، المثلّث الرحمة بين البطاركة يواكيم الثالث، الراعي الصالح لتساليكي، الأثوسي في حياته وفكره، والبطريرك المسكوني في خدمته وتقديمه الذبيحي.

إن يواكيم الثالث الجليل يُعدّ من أبرز شخصيات الكنيسة الأرثوذكسية، وقد كتب فعلاً تاريخاً. كانت حياته شهادة ضمير وعطاء، واقترانا ردا بين الروحانية والحكمة الإدارية.

وفي فافيوخوري على مضيق البوسفور، وخدم في رئاسة الكهنوت أيضاً في وُلِدَ هذه المدينة، مدينة الشهيد العظيم القديس ديمتريوس المفيض الطيب. وقد نشأ وتربّى في حياة الكنيسة، وتشبع بتقليدها الروحي الذي ال يُقدّر بثمن، ومنذ حداثته اشتاق إلى النسك والتكريس للمسيح.

كان قلبه ينجذب إلى الجبل المقدّس، حيث تذوّق سكينة ميلوبوتاموس، وانحصر في الصلاة والصمت والهدوء السرّي للكنيسة، محوّلاً الظلم إلى ينبوع فائدة روحية وتكوين ونمو في الفضيلة والنسك.

كأساسيّ تعلّم أن القوة الحقيقية للراعي ال تكمن في السلطان، بل في التواضع. وتعلّم أن قلق الإنسان يستنير عندما ينحدر إلى القلب، وأن الكنيسة ليست مبنًى أو أداً لخلاص الإنسان. وحين دعا من السكينة إلى خدمة الكنيسة، نقل البطريرك المثلّث الرحمة إلى العالم حكمة البرية. وكأسقف جمع بين اللاهوت السريّ والحكمة العملية، وبين النسك والرعاية الراعوية.

وخلال بطريركيته، في أزمنة عسيرة وحاسمة للغاية على الأمة والأرثوذكسية، وقف رجلَ رؤيةٍ وحكمة، ورجلَ أرجةٍ كنسية. اعتنى بتعليم الأمة، وبتهذيب الإكليروس، وبهيبة الكرسيّ المسكونية. وكان يدرك أن الكنيسة ال تحيا لتتسلّط، بل لتخدم على مثال ربّها؛ ال لتقيم أسواراً، بل لتفتح دروب الخلاص؛ وال لتصون مؤسسات فحسب، بل لتخلّص البشر.

وكمترجم ليتورجيات لتاسالونيكي، حمل في قلبه ذكرى قديسي مقدونيا: القديس ديمتريوس المفيض الطيب، والقديس غريغوريوس باالماس، والقديس داود التاسالونيكي، والقديس غريغوريوس الديكابوليتي. وكأسيّ أبقى متّقدة شعلة الصلاة التي ال تنام. وكبطريرك مسكوني حمل صليب المسؤولية المسكونية من أجل الكنيسة، ومن أجل الأمة، ومن أجل سالم العالم.

ولهذا، فإن إزاحة الستار عن تمثاله النصفي التي ستتم بعد قليل، بفضل مبادرة قداستكم الصديقة، أيها الأخ القديس مترربوليت تاسالونيكي السيد فيلوثيوس، ليست مجرّد ذكرى أو تذكار، بل فعل محبة لله انبع من وعي كنسي وامتنان. إنه فعل تكريم، ال لشخصية مقدسة فحسب، بل للذهنية، وللخلق، وللإيمان، وللخدمة، وللواجب والمسؤولية.

فالكنيسة ال تُقيم تماثيل نصفية لتمجيد البشر، بل لتذكير الأجيال بنماذج يُحتذى بها. وكان يواكيم الثالث والزال نموذجاً للراعي، والأب الروحي، وصاحب الرؤية، وشاهد الضمير.

في أزمنة االضطراب، حيث يبحث كثيرون عن يقينٍ بالحقيقة، وعن سالمٍ بالله، تذكّرنا شخصية يواكيم الثالث بأن حكمة الله وحدها هي التي تبني بيتاً ثابتاً. فحكمة الله، التي شيّدت لنفسها بيتاً في المدينة الملكة، وفي تاسالونيكي، وفي سائر بالد بيزنطة، تدعونا نحن أيضاً اليوم إلى أن نبني بيتها في قلوبنا.

إن مبادرتكم، اي صاحب السيادة مترربوليت تاسالونيكي، بإقامة وكشف الستار عن تمثال نصفي لأحد أسالفكم وأسالفنا، تتيح لتواضعنا أن يخاطبكم، أيها الإخوة والأبناء، ال عن تمثالٍ فحسب، بل عن شهادة، في لحظةٍ يولد فيها عالمٌ جديد. وهذه الشهادة هي حضارة حكمة الله، حضارة الكنيسة العظمى؛ حضارة الوقار والعظمة، والجالل والسكينة، التي تنفذ إلى الإنسان كله وتقدّسه، كما تقدّس الخليقة بأسرها. فكل شيء، بالكلمة والصمت، وبالعمل والأخالق، في كنيستنا المأ، كنيسة القسطنطينية، يكشف عن ذات الحقيقة الإلهية–الإنسانية الواحدة.

إن نشر الإيمان من قِبل الكنيسة العظمى يتمّ كحفظٍ وتحويل، ال كغزوٍ إخضاعٍ، للشعوب السالفية التي تنصّرت. وعندما تسقط الإمبراطورية، تبقى الكنيسة العظمى قوةً جامعة تقود الشعوب الأرثوذكسية. يزول البهاء

الإمبراطوري، وتُقتنى بركة التجربة. إنه سرٌّ كيف بكت، وكيف رتّلت الألم، وكيف شيّدت بيوتها وكنائسها، وكيف نظّمت الترتيبة، وكيف جاهدت وضحّت، حاملةً دائمًا الوقار والعظمة والحق لأمة الأرثوذكس، التي سفينتها الحافظة هي كنيسة القسطنطينية.

وفي واقعنا الحاضر، تفرغ الكنيسة العظمى ذاتها باستمرار، وتتضع، وتبقى معلّقة على صليب الواجب، وتسير مسيرتها الإلهية والمقدسة. ويتجلّى حرفيًا صدق منطقٍ آخر: المجد الأخير للروح، الذي يتطابق مع أقصى التواضع؛ والقوة التي تُكمَل في الضعف. وتدرك الكنيسة الأم آلام الضعفاء، وتشترك في أوجاعهم. فواجبها معلوم، وطريقة أدائه معروفة: إنها لا تنتمي إلى ذاتها، بل إلى رسالة مقدسة، يحدّدها شاهد بطاركتها. وهو أمر إلهيّ مقدّس وقدّوس أن يكون الأوّل في الرتبة بين الأساقفة الأرثوذكس متشحًا «بردا ءٍ قرمزي».

لهذه الكنيسة، التي بنتها حقًا — كما تشهد الوقائع — حكمة الله، كان يواكيم الثالث خادمًا، ذاك الذي سبّقه الله دعاه، فبرّره ومجّده، ويُمجّده أيضًا بتمثالٍ شاهد، تعليمًا وشهادةً لماهية الكنيسة العظمى وما هو مجدها؛ مجدٌ لا يُظهر ذاته بكبرياء كفخرٍ وإزاج، بل كتَواضعٍ خلّاق، يصمد ويتكلّم بالغة بصمت الأعمال، ويعلّم أخلاقًا ونهجًا كنسيين تقليديين، سائرًا على خطى الآباء.

ولحكمة الله، ولشعاع مجدها، أي الكنيسة العظمى التي أظهرت يواكيم الثالث، يليق الفهم والمجد والكرامة والسلطان.

آمين.

[البطريركية المسكونية باللغة العربية]